**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد.**

**فيسر إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالإسكندرية أن يقدموا لكم هذه المادة، والتي هي بعنوان "رجل لكل العصور"، لفضيلة الشيخ الدكتور: محمد إسماعيل، والآن نترككم مع فضيلة الشيخ.**

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما عبده المصطفى، وآله المستكملين الشرف، أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد.

نستكمل ما كنا بدأناه من مقارنة منهجين في شخص رجلين، وهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى باعتباره ممثلًا للمنهج السلفي السني، والإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى باعتباره ممثلًا للاتجاه الأشعري الصوفي.

وشرعنا الأسبوع الماضي في الكلام على موقف الغزالي من نظرية الشك وتكلمنا عن الأزمة الروحية التي مر بها الغزالي رحمه الله تعالى، ثم أيذكر الغزالي أصناف المذاهب التي كانت سائدة في زمانه، يقول رحمه الله تعالى: ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق، أول الفرق المتكلمون وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر، ثانيًا: الباطنة وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم، الثالثة: الفلاسفة وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان، الرابعة: الصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.

ويضيف الغزالي قائلًا: فقلت في نفسي الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته.

يفهم من كلامهم والله تعالى أعلم أن بهذا التقليد الذي خرج عنه ولا يريد العودة أو الرجوع إليه، هو الحق نفسه، الذي فقده وعاد يبحث عنه بين يدي الأصناف الأربعة التي زعم أنه لا يمكن أن يوصل إلى الحق إلا عن طريقها، فيقول: فقلت في نفسي الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع.

قد يقول كائن فأين اتباع الوحي المعصوم من الكتاب والسنة، وأين المنهج السلفي منهج أهل الحديث؟ يفهم من بعض عباراته أن هذا هو التقليد الذي ربما قد قصده الغزالي كما سنبين.

يقول: فابتدرت لسلوك هذه الطرق باستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئًا بعلم الكلام ومثنيًا بطريق الفلسفة ومثلثًا بتعليمات الباطنية، ومربعًا بطريق الصوفية، كما قال في المنقذ من الضلال، ثم يقول الشيخ عبد الرحمن الدمشقي: ترى ما هذا التقليد الذي فارقه والذي يأبى الرجوع إليه؟ أيكون التقليد الذي أراده هو تعلم الكتاب والسنة، قد يكون ذلك مراده وقد لا يكون بالنسبة لك، ولكن هاك الجواب من الإحياء على حقيقة هذا التقليد.

يقول الغزالي معرفًا العلوم الدينية بأنها المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء وصلوات الله وسلامه عليهم، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله، -صلى الله عليه وسلم- وفهم معانيها بعد السماع.

فيبدو أنه قصد هذا النوع من التقليد، ولو كان الأمر كذلك لشك أن هذا انحراف منهجي في غاية الخطورة، لأن اتباع الكتاب والسنة واتباع الأدلة لا يطلق عليه تقليد، التقليد هو أن تأخذ قول الغير بدون معرفة دليله، من القرآن أو من السنة، هذا هو التقليد، والتقليد مذموم وليس طريقًا من طرق العلم وأجمع العلماء كما قال ابن عبد البر على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم.

على أي الأحوال قد يكون قصد هذا النوع من التقليد، وقد يكون لم يقصده، لكن في كل الأحوال القدر الواضح جدًا بنص كلام الغزالي فيما سماه المنقذ من الضلال، هو أن الحق ينحصر في هذه الفئات الأربعة وأنه شرع ينغمس في كل فرقة من هذه الفرق الأربعة: المتكلمين، والباطنية، والفلاسفة والصوفية باحثًا عن الحق، لا شك هذا خطأ منهجي في غاية الخطورة وهنا يبرز الفرق واضحًا وماثلًا أمام الأعيان الفرق الجذري بين ابن تيمية رحمه الله تعالى وبين الغزالي، باعتبار كل من الرجلين ممثلًا للمنهج الذي ينتمي إليه.

فشيخ الإسلام ابن تيمية رجل واضح في غاية الوضوح لم يتلون أبدًا في منهجه، ما عرف عنه أنه غير مذهبه أو تجول بين الفرق أو تلون مثل هذا التلون بل كان منذ البداية منهجه في غاية الوضوح والقوة والحسن.

وأنا أذكركم بمقالة درسناها من قبل في هذه السلسلة سلسلة "رجل لكل العصور" مقالة كانت بعنوان: "المأثورة العظمى لشيخ الإسلام ابن تيمية"، يعني لو أردنا أن نقف أهم إنجاز أنجزه ابن تيمية في خلال حياته المباركة، لقلنا كما قلنا في هذه المحاضرة أو في تلك المحاضرة، أن المأثورة العظمى هي أن الحق لا يؤخذ إلا منهج الأنبياء، وأن العلاج والدواء والهداية لا يوجد أين مصدر لها إلا منهج الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، فهذه المأثورة العظمى أعظم إنجاز أنجزه ابن تيمية من خلال جهاده ومن خلال دعوته.

نتوقف الآن مع رحلة الغزالي مع أولى هذه الفرق الأربعة التي ذكرها، وهي المتكلمون، فلننظر كيف كان موقفه من المتكلمين، للأسف الشديد من الملامح البارزة جدًا في جولة الغزالي ورحلته التناقض يذم الشيء ثم ينتحل، يكفر بشيء ثم يقول هذا الكلام في موضع آخر، فيه تناقض واضطراب في مواقفه كما سيتضح لنا.

فالغزالي في بعض المواضع ذم أهل الكلام، في موضع آخر مدح علم الكلام، فانتبوا لهذا لأن مكانة الغزالي طبعًا العالية جدًا بالذات عند الصوفية والأشاعرة وفي نفس الوقت الرجل له مؤهلات شخصية قوية وله جاذبية في شخصيته وبالذات تشعر بأنه رجل مخلص، يعني كما قال الإمام الذهبي ولولا أن أبا حامد كان من خيار المخلصين لتلف، فهو فيه صفات بلا شك رائعة جدًا، وهذه الجوانب المشرقة في حياة الغزالي بالذات جانب الربانية عنده قد يتضخم عند بعض الناس حتى يصبح سدًا يحول دونهما ودون رؤية معايب وقبائح ومثالب منهج الغزالي المنحرف في هذه المواضيع التي نتكلم فيها.

لكن ينبغي أن لا ت غلب العاطفة لأن الشخص إذا أحب شخصًا أو إمامًا أو شخصًا مشهورًا هو لا يطيق أن يسمع شيئًا من عيوبه أو أخطائه لا يتحمل أن يرى من يحبه ويخطئ أو يضل أو ينحرف، ولكن العصمة للأنبياء فقط لا أحد بعد الأنبياء معصوم، والذي يهمنا في هذا الكلام وهو طبعًا نحن لا نساوي شعرة في رجل الغزالي رحمه الله تعالى، لكن إحقاق الحق وتوضيح المناهج هذه من أساسيات ومن المقاصد الرئيسية لهذا الدين، حسابه في الآخرة على الله -سبحانه وتعالى-، لكن في الدنيا لا بد من توضيح المنهج حتى لا تلتبس الأمور على عموم الناس خاصة في مثل هذا الزمان.

فشهرة الغزالي قد تصعب على بعض الناس أن يتصوروا مثل هذا، ولذلك كلامه دائمًا معزو إلى مصادره من كتبه كما سنرى.

يقول الغزالي: ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصلت وعاقلته وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده غير وافٍ بمقصوده، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة.

طبعًا معلوم أن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى رجل شافعي المذهب، ودرس المذهب دراسة واتية وبرع فيه، وصار فيه من نظار وفقهاء أهل زمانه، فلا بد والحال هكذا أنه يعرف من هو الإمام الشافعي إمامه الغزالي لا بد أن يكون بلغه كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، الذي كان من أكابر علماء أعلام هذه الأمة ومن أحرص الناس على السنة، وعلم الكلام والجدل نشأ، علوم اليونان استوردت في عصر الإمام الشافعي، وبدأت تنتشر مع ذلك الإمام الشافعي ترفع عن أن يعتمد على أساليب اليونان والكلام والجدول في الدفاع عن السنة من تشويش المبتدعة.

بل بالعكس الإمام الشافعي كان له موقف صارم لأنه من أكابر أئمة أهل السنة، الذي كان لهم موقف صارم من علم الكلام وذمه وعابه أيما عيب، بل إن الغزالي نفسه حرص على نقل بعض عبارات الشافعي التي فيها ذم علم الكلام، قال الزعفراني، قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام.

ده موقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من علم الكلام، فيفهم من كلام الشافعي أن الكتاب والسنة شيء في جانب وعلم الكلام في جانب مقابل، وواضح جدًا في كلامه أن أهل الكلام ليسوا من أهل السنة هذا شيء واضح، عند إمامنا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

قال الزعفراني، قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد وأحفظها من موضع آخر يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر أو في القبائل، وينادى عليهم يقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام، وخاض في علم الكلام وهاجر علوم القرآن والسنة.

وقال الإمام الشافعي أيضًا، لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد، وحكى الكرابيسي أن الشافعي رحمه الله تعالى سئل عن شيء من الكلام، فغضب غضب من الذي سأله عن قضية من قضايا علم الكلام، وقال: تعلن هذا حفص الفرد وأصحابهم أخذاهم الله.

يعني اذهب لأهل البدع واسألهم لا تسألني أنا على مثل هذا العلم المبتدع الدخيل، قال: سَلْ عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله، ,لما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال له: من أنا، فقال الشافعي حفص الفرد، لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه، وقال أيضًا الشافعي رحمه الله تعالى: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس، أرسطاطاليس الأريسطوط أو أريسطو.

لكن الغزالي خالف كل ما نقله عن إمامه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى حين كتب كتابه "قواعد العقائد" على طريقة المتكلمين، وكذلك أيضًا حين شرحه وتوسع بهذا الشرح بإيراد الأدلة الكلامية البحتة، مع أن الغزالي اعترف بحقيقة مهمة في كتابه المنقذ من الضلال، حيث قال: ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد على كلام الفلاسفة إلا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد، لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلًا عمن يدعي دقائق العلوم.

هو هنا بينتقد رد الكلاميين على رد الفلاسفة، إن ده الكلام معقد كلام المتكلمين إلا كلمات معقدة مبددة ظهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم، اعترف أيضًا بأن علم الكلام لم يكن في حقه كافيًا ولا لدائه الذي كان يشكوه شافيًا، ولم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق.

أيضًا هو نفسه قال: أنه علم وافر بمقصوده غير وافٍ بمقصوده، لم يشبع نفسه ولم يظهر ما عنده من الظلمات، وعلم الكلام هو أصلا حصيلة الفلسفة هو مدخل إلى الفلسفة وكما قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالى: فمدخل الشر شر.

لا شك أن الفلسفة أسوء وأضل من علم الكلام، لكن المدخل العتبة التي توصلك إلى الفلسفة هي علم الكلام، فمدخل الشر شر، فعلم الكلام أثر من آثار الفلسفة وبلية من بلاياها على هذه الأمة.

لأن مجرد دخول المنطق وعلم الكلام في الأمة المحمدية انتشرت الخصومات والجدل بين هذه الأمة، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: فمنهم من فاقت نفسه إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات، وزعموا أن غرضهم الذج عن دين الله والنضال عن السنة، وقمع المبتدعة، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام، وفتح باب المناظرة فيه، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية، المفضية إلى إهراق الدم وتخريب البلاد.

إذًا هنا في هذا الموضع من الإحياء الغزالي بينتقد علم الكلام بأنه علم مفضٍ إلى الخصومات والتعصبات، ولا شك أن هذا حذر منه النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعون وأكابر أئمة هذه الأمة، اتفقوا على أن الجدل مفضٍ إلى الخصومات في الدين، وطبعًا علم الكلام أصلً هو علم جدلي، منظم وموضوع على قواعد وطرائق تساعد المرء على أن يكون مجادلًا محترفًا، يكون محترف للجدل، الذي ذمه السلف كما هو معلوم.

أيضًا الغزالي أنكر على المتكلمين أنهم جعلوا طرائق كلامهم المحدث، فصلًا أوليًا وهامًا وعلمًا ضروريًا من ضروريات هذا الدين، يعني الإنسان بيحتار الغزالي يجبنا يمين ومرة ثانية صفعة ترجعنا ثاني للشمال، شوية ينتقد في علم الكلام، وشوية يمتدحه فتجد دائمًا الأمواج غادية رائحة، في الاتجاهين المتناقضين، فهنا في هذا الموضع هو يذم علم الكلام حيث عد المتكلمون علم الكلام شيء أساسي جدًا، وعلم ضروري من ضروريات هذا الدين بل مزجوا علم الكلام بعلم التوحيد، بل عبروا عن علم التوحيد بمسمى علم الكلام، فصار علم التوحيد عنده علم الكلام، حتى يزينوا جدلهم القبيح ومنهجهم المنحرف بالعبارات الإسلامية كالتوحيد.

يقول: التوحيد، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم، بيفكرنا بالمحاميين لما يصترعون بغير إخلاص، كل واحد عايز ينصر موكله، حتى لو ضاعت الحقيقة، وهم يتسببون في ضياع العدل أحيانًا، يبقى قضية خصومة وجدل وأن كيف يبطل قول الخصم بغض النظر عن أنه محق أم لا، ده نفس ما حصل بين المتكلمين.

يقول والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها، لتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم بأنفسهم بالعدل والتوحيد، وسمي المتكلمون بعلماء التوحيد، هذا كلام الغزالي بيستنكر هذا أن المتكلمين سموا بعلماء التوحيد، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باب من الجدل والمماراة.

وطبعًا ده شهادة عظيمة جدًا للمنهج السلفي الذي ن البداية رافض تمامًا علم الكلام والجدل والخصومات وقصة ابن عمر مع الصغير (17:50) قصة معروفة مشهورة وكيف كان السلف يكرهون هذا الجدل وهذه المماراة، هذا اعتراف من الغزالي بأن هذا علم مبتدع وأن السلف كانوا ينكرون مثل هذا النوع من العلوم المفضي إلى الجدل والخصومات، اعتراف صريح وحجة للمنهج السلفي.

يقول: وسمي المتكلمون بعلماء التوحيد مع أن جميع ما هو خاص بهذه الصناعة، الأشياء التي تميزت بها صناعة الكلام لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم أئمة السلف النكير على من كان يفتح بابًا من الجدل والمماراة.

ولا ينحصر لا نقل عنهم من التشديدات فيه، كلام الغزالي، يعني لا يكاد ينحصر النصوص التي ذم فيها السلف علم الكلام والجدل والمناظرة، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد عنهم من الشر، هذه أيضًا حجة للسلفية، حتى حينما أراد المتكلمون أن يردوا على الفلاسفة فإن ردودهم لم تكن مفحمة للفلاسفة بل رد عليهم الفلاسفة واحتجوا عليهم في بعض ما ذهبوا إليه، كقولهم بمبدأ الجواهر الفردة المأخوذة عن ديمقراطيس وغير ذلك.

هذا كله حذا بالغزالي إلى القول بأنه لم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حينما ردوا على الفلاسفة إلا كلمات معقدة مبددة وظاهرة التناقض والفساد، ولذلك صرح الغزالي بأن الإيمان انظر إلى كلامه، الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدًا مشرف على التداول بكل شبهة.

مجرد أن جاءت شبهة ينهار، وده تلاحظوه لو أن واحد قرأ العقيدة السلفية من أي مرجع من كتب العقيدة السلفية بالأدلة الآيات والأحاديث والنقول عن الصحابة والتابعين وكذا وكذا، والكتب كثيرة مشهورة ومعروفة، وتيجي تقرأ شيء من كتب علم الكلام، أو كتب العقيدة الأشعرية المبنية على علم الكلام تجد الفرق شاسعًا بين الأمرين، كما سبق أن ذكرنا ذلك بالتفصيل من قبل في هذه الدراسة.

يقول الغزالي: إن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدًا، مشرف على التزاول في الانهيار بكل شبهة، أيضًا حينما يقارن الغزالي بين عقيدة المتكلم وعقيدة العامي، يخرج الغزالي بالنتيجة التي يقول فيها: فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ، لا تحركه الدواهي، والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارث اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا.

فانظر إلى اعترافه في الفرق بين عقيدة العامي بين أهل السنة وبين عقيدة المتكلم الراسخ أو المحترف لعلم الكلام.

إذًا ما لا بقي من خير في علم الكلام، ومع ذلك سنرى تناقضًا في كلام الغزالي وموقفه من علم الكلام، طبعًا العامي عقيدته ثابتة لماذا؟ لأن فطرته باقية، لكن المتكلم والمتفلسف فسدت فطرته، هو أفسد فطرته بهذه العلوم المضلة، أما العامي فالفطرة سليمة وتعرفون العقيدة في جانب كبير منها تعتمد على الفطرة السليمة التي تتقبل الحق بغاية السلاسة وبدون تعقيد.

إذًا فعقيدة المتكلم تفيئها الرياح وعقيدة العامي لا تحركها الدواهي ولا الصواعق، مع ذلك نجد أن الغزالي تناقض مع هذا الكلام بعد صفحتين فقط من هذا الكلام، قائلًا: بأن منفعة علم الكلام شيء واحد، بعد صفحتين من الكلام ده الغزالي نفسه بيقول في الإحياء إن علم الكلام له منفعة واحدة بس إن منفعة علم الكلام شيء واحد، وهو حراسة العقيدة على العوام، حراسة عقيدة العوام.

حراسة العقيدة على العوام وحفظها من تشويشات المبتدعة وأن المتكلم بمثابة الحارس لطريق الحجيج، مع إنه صرح قبل ذلك بأن عقيدة المتكلم مهلهلة مشرفة على الزوال بكل شبهة، وأن عقيدة العامي ثابتة كالطود الشامخ، فكيف تحصل حراسة المهلهل للشامخ؟ وكيف يتصور عاقل أن تحصل من الذي تفيؤه الرياح حراسة ما لا تحركه الدواهي والصواعق؟ ثم الأشد والأطم والتناقض الأعجب أن الغزالي نفسه رحمه الله تعالى جعل حاجة الناس إلى المتكلم أشد بكثير من حاجتهم إلى الفقير، كما ذكر ذلك في كتابه جواهر القرآن.

الناس محتاجين للمتكلم وحاجتهم إليه أشد وأشد من حاجتهم إلى الفقيه، أيضًا من التناقضات البارزة في كلامه أنه أثنى على عقيدة العوام، وذم عقيدة المتكلم، ثم جعل المتكلم حارسًا لعقيدة العامي، بل أبعد من هذا التناقض ثناؤه على عقيدة العامي، ثم تفضيله للأشاعرة والمعتزلة عليه، كما في المضمون به على غير أهله.

أفاض الغزالي في نقله لكلام أكابر الأئمة فيما يتعلق بنهيهم عن الكلام واعتباره بدعة مذمومة، طيب لما هو بدعة مذمومة، كيف اعتبرتها حراسة ودفاعًا عن السنة، كيف البدعة تحرس السنة، ولم نقلت عن هؤلاء الأكابر وبالذات إمامك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ذم علم الكلام ثم تخالف ما قال هؤلاء الأكابر والسلف والمعلوم أن البدعة لا تنبني إلا على أنقاض سنة.

لا يمكن توجد بدعة إلا وتهد مكانها سنة، فكما روى الإمام أحمد في مسنده والدارمي بإسناد صحيح، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: ما أحد قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة، فتمسك بالسنة خير من إحداث بدعة، إذًا حقيقة الأمر أن تشويشات المبتدعة في الحقيقة لن تزول بعلم الكلام ولا بالجدل ولا بالبدعة، والكلام علم الكلام الذي اتفق مالك وأحمد وأبو حنيفة والشافعي على تبديعه لا يمكن أن يكون حارسًا للعقيدة من البدعة، لأن الكلام نفسه هو بدعة محدثة، ومستوردة من خارج الأمة الإسلامية فكيف يتصور أن يستعان بالباطل لتثبيت الحق، فالحق والباطل عدوان وخصمان باقيان إلى قيام الساعة، وعلم الكلام لا شك أنه مشتق من هذا الباطل.

وللأسف الشديد أن الغزالي مع ذمه أحيانًا علم الكلام، لكنه بنى العديد من كتبه على علم الكلام وعلى علم المنطق، يعني القسطاس المستقيم، والأربعين، وقواعد العقائد، والاقتصاد في الاعتقاد، وأدلة قواعد العقائد التي في الإحياء، كلها مبنية على المنطق وعلم الكلام.

الحقيقة الكلام الجاف الغريب بتاع علم الكلام نسق شاذ وغريب عن منهج أهل السنة والجماعة وأهل الحديث، هذه أمثلة من أساليبه في تناول العقيدة على الأسلوب الكلامي، مثلا: يقول في الإحياء: إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه، والعالم حادث فإذًا لا يستغنى عن حدوثه سبب، وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون، وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فما من ساكن إلا والعقل قاضٍ بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاضٍ بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لتريانه والسابق حادث لعدمه، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه.

مثلا: قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر بالحال، وانقضاء ما لا نهاية له محال، ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها، لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعًا ولا وترًا.

أيضًا يقول: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه، ولا يخلو من أن يكون ساكنًا فيه أو متحركًا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم.

قال تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } قال الغزالي: وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق \*\*\* من غير سيف ودم مهراق

فالغزالي وهو أشعري المذهب، يتأول صفة المذهب بالاستواء يقول الأشعري وقالت المعتزلة في قول الله عز وجل: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }، يعني استولى.

فعلى أي الأحوال، الغزالي الذي يريد أن يهرب من التقليد هو نفسه لم ينجو من تقليد المتكلمة الأشاعرة الذين يتمثلون بالأشعري ويتبجحون باتباع معتقده وهو من تأويلاتهم براء.

السؤال الذي يفرض نفسه هل يعتمد على شيء من هذا الكلام لحراسة العقيدة السنية الصحيحة؟

والجواب: أن الله -سبحانه وتعالى- قد حفظ سنته بأئمة استنوا بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسواء وجد هؤلاء الأئمة أو عدم وجودهم فالدين باقٍ إلى قيام الساعة، وهذا وعد رباني ولا يخلف الله وعده.

والله -سبحانه وتعالى- ينصر دينه بمتبعين لا مبتدعين، وهب أن علم الكلام نافع لحراسة العقيد، فإن انعدامه لا يهدد دين الإسلام بالزوال، والوعد الإلهي ببقاء هذا الدين وظهوره على ملل الكفر قائم، وإن غاب المتكلمون المجادلون، فكيف وأنت تعلم أنه علم مبتدع، ليس هذا فحسب بل متسبب في الخصومات والتعصبات التي اعترف بها الغزالي.

إذًا الأولى دفع البدعة بطريق السنة لا ببدعة أخرى مثلها، وبذلك نلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا» تنبأ بحصول الاختلاف بين الأمة.

وأرشدنا إلى علاج الخلاف، «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»، فطبعًا واضح جدًا أن علاج الفرقة هو بالاعتصام بالسنة، وليس بإتباع أهل الكلام، والعلوم المستوردة من اليونان والفلاسفة وغيرهم.

والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى تقوم الساعة»، أو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فطبعًا هذا النصر في الناحية العلمية والمنهجية، لا يمكن أبدًا أن ينهزم علماء السنة أمام حجاج علمي منصف متسلح بالعلم الشرعي الشريف، أمام أي مبتدع مهما كانت بدعته، ولا يمكن يحتاجوا إلى البدعة كي ينتصروا، ففي الحق ما يغني عن التطفل على موائد المتكلمين والفلاسفة.

انظر إلى عبارة أخرى للإمام الغزالي رحمه الله تعالى، وافهم منها النصيحة التي يسديها الغزالي في موقف آخر يقول رحمه الله تعالى في كتاب الإحياء: فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه، قلاه يعني ايه؟ هجره وتركه { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى }، فاسمع هذا يعني خذ نصيحتي وتجربتي مع علم الكلام الذي خضت فيه ثم هجرته.

يقول: فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه، انتبهوا إلى هذه الكلمة.

يقول: وتحقق يعني هو بعد تجربته من الخوض في علم الكلام، وتحقق في النهاية أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، مسدود، يبقى هو خاض في علم الكلام ليبحث فيه عن الحق باعتباره أحد لطرق الأربعة التي ينحصر فيها الحق في زعمه وفي النهاية اكتشف أنه طريق مسدود لا يوصل للحق، بعبارة الغزالي في الإحياء الجزء الأول صفحة 97.

يقول: فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود.

فما أعتقدش إن في ذم لعلم الكلام أكثر من كلام الغزالي ولا ينبئك مثل خبير.

بل هذه سنة يعني سبحان الله نحن نستحضر دائمًا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سأل هرقل أبا سفيان فقال له: وسألتك هل يرتد أحدًا منه سقطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.

إن هذا الطريق اللي هو دين الإسلام لا يدخل فيه من يرتد عنه سخطة له، وهكذا طريق الأنبياء ومنهج الأنبياء تذكرت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، فهو اتجاه كما قلنا اتجاه مروري واحد، اتجاه واحد مافيش رايح جاي، فغالبًا اللي يمشي في طريق الإسلام أو طريق أهل السنة والجماعة، بيشبع الفطرة تشبع والقلب يسكن واليقين يرسخ وبالتالي لا يعول بعد ذلك على أي منهج يخالفه، والواقع يؤيد ذلك، فنجد دائمًا حتى كبار المتكلمين ممن أراد الله -سبحانه وتعالى- بهم الخير دائمًا نجد متكلم يعود إلى منهج السلف، صوفي يعود إلى السلفية، أشعري يعود إلى منهج أهل السنة، لكن هل سمعتم أحد من أهل السنة انتكس إلى منهج الخوارج أو إلى منهج الأشاعرة أو المتكلمين؟ لا يكاد يوقف على هذا أبدًا، لا يكاد يوقف على هذا أبدًا، ليه؟ لأن هذا مقتضى أن دين الإسلام وأن دين الفطرة ومنهج أهل الحق، فدائمًا أئمة الكلام الذين يريد الله بهم خيرًا، إما أن يرجعوا إلى منهج السلفية وإما أنهم على الأقل في نهاية العمر بعد التجربة ما تكون نضجة واستوت يوصل النتيجة ويعترف بأنه ضيع عمره.

وكلامهم طبعًا كثير جدًا في هذا، زي مين قولوا أمثلة بقى سمعونا أمثلة، أبو الحسن الأشعري نفسه، مين بقى؟ الجويني، الشهرستاني، الرازي الرازي ده مهم جدًا، ده إمام كبير من أئمة الأشاعرة، الرازي ابن شيخ الحزاميين صحيح ودرسنا رسالته من قبل رسالة اللي فيها الوصايا لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهكذا.

يعني أمثلة كثيرة جدًا في القديم والحديث، لكن ما تجد سلفيًا بس يكون فاهم السلفية مش فاهم التقليد مش ماشي مع الجمهور يعني، ويقلد الآخرين لا يكون هو درس المنهج وتضلع منه لا نكاد نجد من ينتكس منه إلى أي فرقة ضالة بإذن الله تبارك وتعالى.

يقول الجويني وهو شيخ الغزالي رحمه الله تعالى الإمام الجويني إمام الحرمين، أنثى على دين العجائز وعقائد العوام، يعني يندم على تعضييع عمره في علم الكلام، ثم يقول ها أنا ذا، أموت على عقيدة عجائز نيسابور، رجع لعقيدة العوام.

الرازي وهو من هو من أئمة الكلام المشهورين، ولشيخ الإسلام رسالة كبيرة جدًا في الرد عليه أساس التقديس وهذه الكتب يرد على الرازي ردًا رائعًا جدًا، يقول الرازي: ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات.

إذًا، سادت وزعماء المتكلمين يعترفون وهم على فراش الموت، وينصحون بترك هذا العلم المذموم علم الكلام، نعود إلى موجة أخرى للغزالي دلوقت كان بيذم علم الكلام أيضًا في عبارة أخرى الغزالي نهى عن تعاطي علم الكلام، ويفهم من كلامه أنه النهي والتحذير من علم الكلام ده موجه مش لكل الناس ده موجه لمن؟ للعوام، إلجام العوام عن علم الكلام.

حيرة جديدة نضطرب فيها مع الغزالي وأمواجه المتلاطمة، فنهي الغزالي عن تعاطي الكلام كان موجهًا للعوام من الناس إذ ليس الكلام مذمومًا لعينه، بل لأن فيه ضررًا على العوام، وإلا فإن أصحاب مرتبة الكلام والجدل هم حراس العقيدة في نظر الغزالي، فلا يليق بالعوام ارتقاء مرتبة الكلام ولا يليق بأهل الكلام ارتقاء مرتبة الصديقين، ولا يليق بالعوام إلا الاتباع، العوام دول اللي هو سماهم في موضع آخر ايه؟ لا كلمة أشد من المقلدين، البُله وسماهم كمان ايه؟ أهل السلامة، أهل السلامة البُله وهم أهل الجنة دول طبقة العوام.

فيرى هو العوام وقال قبل كده كما قال الأسبوع الماضي إن إذا كان الشخص جلسًا بليدًا الطبع فده تقوله ايه؟ { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وأنه استقر على العرش، وما ينفعش ده بقى تكلمه بالكلام بقى بتاع الطبقة الأعلى، اللي هو التأويل وإلى آخر هذه الأشياء، طبعًا كلام ظلمات بعضها فوق بعض، فعند الغزالي لا يليق بأهل الكلام ارتقاء مرتبة الصديقين ولا يليق بالعوام إلا الإتباع.

فهذه النفسية على فكرة موجودة وانتبهوا لها يعني بعض الناس من أهل كلام أو الأشاعرة أو غيرهم بينظروا إلى السلف نظرة ازدراء زي المتكربين المغرورين بالعلوم الحديثة في عصرنا لما ينظروا لأهل العلم الشرعي باحتقار كده وبازدراء دول الناس الدراويش يعني، وإن هم اللي عندهم كل شيء من العلم الحديث والحضارة والكلام الفارغة علوم التمتع بالخلق، نفس النفسية موجودة.

ولذلك تجد في روح من التعالي على أهل الدين، نفس الشيء عند الخلفيين ينظروا للسلفية دي حاجة دول ناس كانوا سذج ما كانوش لسة تصور العلم كما يتصور في زماننا، ده الذي يعكسه عبارة ايه؟ منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم، ما هي دي شتيمة لمنهج السلف، والسلف الصحابة **رضي الله تعالى عنه**م.

ليه يقول لك طب قيس كده شوف لما أحد زي الرازي يؤلف تفسير كم مجلد، وفلان ألف في علم الكلام كتاب من 30 مجلدًا طب هم الصحابة ألفوا ايه؟ السبعين ألفوا ايه؟ فبيقيس علم السلف بالنسبة لعلم الخلف بكثرة المجلدات، ومن أوضح الردود على هذا رسالة لطيفة هي رسالة مين؟ من رد على هذا المعنى بالذات؟ الإمام ابن رجب اللي هي رسالة فضل علم السلف على الخلف، كان يرد على هذه الجزئية، احتقار الخلفيين لعلم السلف وتوهمًا منهم لجهلهم، إن كلما قل الكلام الكثير والجدل والمناظرة دل ذلك على قلة العلم، كلما كثرت المصنفات دل ذلك على التعمق والعلم ونحو ذلك.

فهم الخلفين عندهم نوع من الاغترار بالعلوم الحادثة عندهم وعلم الكلام وغيره من العلوم، وده السبب في ازدراء منهج السلف، ففي نوع من الازدراء والاحتقار سوف نلمح بعض ملامحه أيضًا خلال هذه الدراسة.

وبعدين طبقية وعوام وخواص وخواص الخواص، كل حاجة ملخبطين الدنيا فيها، مافيش السلاسة بتاعت الدين دين الفطرة، السلاسة والبساطة بل في التعقيد كما سنرى، فيقول وعند الغزالي لا يليق بالعوام ارتقاء مرتبة الكلام، عشان كده العوام لهم كلام والخواص لهم كلام، العوام دول نقول بقى { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } نضحك على عقلهم بالكلام ايه، لكن الحقيقة مافيش حقيقة مطلقة الحقيقة نسبية، للعوام كلام وللخواص كلام ثاني، والكلام ده حرام يتقال للعوام، أو يضرهم لا نحن نقول الكلام ده لطبقة معينة، ايه دي الطبقية، ايه خواص وعوام، من أين أتيتم بهذا؟

أين كان هذا عند السلف عند الصحابة والتابعين أو عند أئمة الإسلام، فلا بد أن نكون في انتمائهنا للسلفية نكون على بصيرة { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } مش نرفض الغزالي، نرفض الصوفية، نرفض الإحياء فقط لأن شيوخنا يحذرونا من هذه الكتب، لا وجد الآن في السلفية مقلدة في أقدح أنواع الجهل، أو أقبح أنواع التقليد الذي المفروض تتنزه عنه السلفية المفروض يكون في بصيرة، وأن تعرف مواقع أقدامك وباني موقفك على أي أساس، على فهم وعلم وبصيرة كما أمر الله -سبحانه وتعالى-.

يقول: ولا يقبل عوامي إلا لاتباع والكف عن تغيير ظواهر الآيات والأحاديث، دول بقى العوام تقول لهم الآيات والأحاديث الظاهر بتاعها كده، وتحذيرهم عن إبداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة، وحتم باب السؤال رأفًا والزجر عن الخوض في الكلام والبحث.

وأما الخواص أصحاب المقام الثاني، وهم النُظار فقد أجاز لهم الغزالي ترك الظواهر حسب ما تدعو إليه الضرورة، بعد ما أحالهم على كتابه القسطاط المستقيم، الذي وضع لهم فيه الموازين الخمسة المأخوذة عن المنطق والمناطقة، ولا يخفى أن تقسيم الناس إلى عوام وخواص وغير ذلك هو من فعل الفلاسفة الذين يحرمون على العوام تأويل الآيات، ويحرمون في نفس الوقت إثباتها على العارفين، ويأمرون العوام بإثابتها والعارفين بتأويلها، كابن رشد الذي يزعم أن إثبات العارفين للآيات كفر وتأويل العوام لها كفر.

يعني الاثنين كفر، بس هي مسألة نسبية، ففي حق العارفين إثبات الآيات كفر، يعني دول عارفين، والعوام يثبتوا الآيات، يأخذوا الآيات على ظاهرها، وتأويل العوام للآيات كفر، مع أن الاثنين متناقضين طب مين فيهم كفر؟ لكن هو بيقول إنها حاجة نسبية العوام لهم كلام، ولو خواص لهم كلام.

وهذا مبني على أقوال ابن سينا، من أن الشرع خطاب على للجمهور على سبيل التمثيل، ده تمثيل لكن مش حقيقي، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد.

قد يحث الغزالي على إثبات صفات الله في كتاب من كتبه، ثم يخالف ما حث عليه، لدعوته إلى تأويلها في نفس الكتاب، مثلًا في كتاب الإحياء تارة يدعو إلى التأويل في قصد قواعد العقائد في الإحياء وأدلته، ويتأول صفة الاستواء بالاستيلاء زاعمًا بأن الأهل حق مضطرون إلى التأويل.

في موضع آخر من الإحياء يجعل إقرار الإثبات أو التأويل مرهونًا بالكشف، يعني في موضع آخر يقول: هل نثبت الصفة أو لا نثبتها؟ نثبتها أم نأولها؟ ايه اللي يحدد؟ في مكان آخر في الإحياء بيقول إن ده يرجع للكشف.

فإن وافق التأويل ما كوشف به العارف أخذ بالتأويل، وإن وافق الإثبات ما كوشف به أخذ بالإثبات ودي طبعًا عبس شديد بمصادر التلقي سبق أن ذكرناه بالتفصيل في قضية الكشف في بحث ظاهرة العبث بأشراط الساعة تكلمنا على العبث بمصادر التلقي، ببحث المهدي، تكلمنا على العبث بمصادر التلقي وأن من ضمن العبث إحداث مصادر لم يأذن بها الله، كالرؤى المنامات يعني أو المكاشفات أو الإلهام، وذكرنا ضوابط التعامل مع هذه الأشياء.

هذه في موضع مع الإحياء يجعل إقرار الإثبات أو التأويل بالنسبة للنص مرهونًا بالكشف، فإن وافق التأويل ما كشف به العارف أخذ بالتأويل، وإن وافق الإثبات ما كشف به أخذ بالإثبات وهذا في الإحياء.

في موضع آخر يقول: إن إثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله -صلى الله عليه وسلم- مع اعتقاد نفي التشبيه هو الجامع لذلك كله، إذ إن الخطر في البحث عن الصفات عظيم، وعقباته تؤوده ومسالكه وعرة.

يعني هنا كلام جميل كلام سلفي، فإن إثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله مع اعتقاد نفي التشبيه هو الجامع لذلك كله، كلام جيد، يقول في القسطاط المستقيم: فإن تشابه عليك شيء فقل: آمنا به كل من عند ربنا، واعتقد كل ما ورد في إثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثله شيء، ولا تلتفت بعد هذا إلى القيل والقال، ويكون علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء.

وقد أكد بأن إثبات الصفات مع نفي التشبيه والمثل هو معتقد أهل السنة الصحيح الذي هو وسط بين المتأولة المعطلة وبين المشبهة الذين يثبتون الصفات من غير إثبات آيات التنزيه ليس كمثله شيء، فيفهمون منها ما يفهمونه من صفات المخلوقين.

يقول الغزالي: وأما الفرقة المعطلة فإنهم بالغوا وغلوا وبالغوا في نفي التشبيه، حتى وقعوا في التعطيل، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم سلكوا الطريق الوسط وأثبتوا صفات الله كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل.

ده فين بقى؟ في كتابه روضة الطالبين.

أما في كتاب إلجام العوام عن علم الكلام، فقد أكد فيه على الإثبات واشتد نكيره فيه على التأويل والمتأولة ملقبًا إياهم بالمعطلة وحث على سلوك السلف، لأن ده إلجام العوام عن علم الكلام، هنا بيخاطب مين؟ فحث العوام على سلوك طريق السلف ونسب من سلك غير هذا الطريق إلى البدعة، وقال في مواضع متعددة من هذا الكتاب، إن الحق هو مذهب السلف، وأن من خالفهم فهو مبتدع.

وأضاف أنه لما كان زمان السلف الأول زمان سكون القلب، بالغوا في الكف عن التأويل خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب، فمن خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي حرك الفتنة، وألقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالإثم.

طبعًا سكون قلوب السلف بالعقيدة السلفية، لا بد أن نعرف إن دي ثمرة من ثمرات الاعتقاد الحق، لأن الحق هو الذي يأتي بالسكينة والاطمئنان، فهي مش كلام شيء عارض، هو إنما هو هذه السكينة التي تنشأ عن الاعتقاد الحق الصراح الذي ناطقت به النصوص وشهدت به الفطر والعقول، فأصبحت يقينًا لا يعتريه شك ولا تزعزعه الشبهات.

إذًا كما رأينا التناقض في منطق الغزالي في قضية علم الكلام، إذًا فماذا عن علاقة الغزالي بالفلسفة خاصة أن بعض الناس يتصورون الغزالي خالٍ تمامًا وبديء من الفلسفة أنه ألف في الرد عليهم في كتاب تهافت الفلاسفة، يقول الشيخ عبد الرحمن الدمشقي:

ما كان السلف الصالح ممن يتطلعون إلى منابع أخرى أو إلى مصادر غير المصدر الذي استقوه من لدن، من علم لدن، لكن من لدن من؟ من لدن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يظهر جانب تقديرهم لهذا المصدر، إن السنة بتملى عنيهم بالتعبير العامي، تملأ عيونهم، لأنهم يعظمونها، ولأنهم يقدرونها حق قدرها، لكن أهل البدع لا يرجون لله وقارًا، ولا يرجون لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقارًا ولا لسنته، فبالتالي دائمًا إذا وقع في الشيء الغريب، لكن المؤمن يملأ عينيه الكتاب والسنة، ويطمئن قلبه ويشبع نهمه للعلم والمعرفة.

فاعتماد السلف للمصدر الأصلي للعلم وهو الكتاب والسنة، يظهر جانب تقديرهم لهذا المظهر، ويقينهم بأن هذا هو المصدر الأوحد الذي يبلغون به سعادتهم الدنيوية والأخروية، وده اللي عبرنا عنه من قبل إن دي هي المأثورة العظمى لشيخ الإسلام ابن تيمية، أنه هدى الناس لهذه الحقيقة، وركز عليها جدًا بعد ما كان علاها ركام من التراب والغبار وهذه الأشياء بسبب تراكم آفات القرون والبدع ونحو ذلك.

كان السلف ينظرون إلى المصادر الأخرى المغايرة للكتاب والسنة، نظرة الند والمنافس لمصدرهم الذي بذلوا في سبيل قيامه كل ما كانوا يملكون فأقاموه وافتدوه بأنفسهم وأموالهم.

فكانوا يعتزون بهذا المصدر، وأي شيء مغاير لهذا المصدر يغضبون ويعتبرونه ندًا ومنافسًا ومضادًا لله تبارك وتعالى.

لما فتحت أرض فارس ودخلها المسلمون وجدوا فيها كتبًا كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص **رضي الله تعالى عنه** إلى عمر بن الخطاب **رضي الله تعالى عنه** ليستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين، قال له: ترجمها وننقلها للمسلمين، فكت إليه عمر **رضي الله تعالى عنه** أن اطرحوها في الماء، فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن تكن ضلالًا فقد كفانا الله، فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس منها عن أن تصل إلى المسلمين.

فبالتالي أمن المسلمون من شر هذا التراث الوثني، تراث الفرس عباد النار، والثانوية الذين يعبدون إلهين، إله النور وإله الظلام، أو إله الخير وإله الشر، فهؤلاء المجوس الوثنيين، سُد هذا الباب من أن تصل علومهم وتترجم إلى المسلمين فيتأثروا بها.

لكن المسلمين فيما بعد لم يغاروا على هذا المنبع غيرة عمر عليه **رضي الله تعالى عنه**، والقصة معروفة لما بعت بعض الخلفاء العباسيين، يطلب من ملك اليونان، أن يرسل إليه مخطوطات عندهم في مكتبتهم فيه علومهم وفلسفتهم، ومذاهبهم ونحو ذلك.

فلأول وهلة هو قال ازاي دكتوراه في الوطن، تراثنا وهويتنا ازاي نديها للناس دي كده، فاجتمع كبار القوم وعقلائهم، وقال لا بالعكس أنتم ابعثوها للمسلمين، خلوهم يترجموها، لأن دي أقوى طريقة لإثارة الفرقة بين المسلمين، والخصومات والجدل، وأخذوا بهذه النصيحة، وبالفعل نقلت علوم اليونان إلى المسلمين، وحصلت حالة ترجمة لكتب المنطق والفلسفة وهذه الأشياء، وبالتالي دخلت هذه البدع والضلالات من ذلك الوقت، قالوا: لأنه ما دخلت هذه العلوم في الأمة إلا مزقتها، وإلا فرقتها، وصرفتها عن الحق الذي معها.

وللأسف الشديد بالذات في الدولة العباسية لم يغر المسلمون هذه الغيرة التي غارها عمر على هذه العقيدة، فأخذوا يدخلون علوم الفلسفة إلى جانب علومهم، فهذبوها بعد ترجمتها وأضافوا عليها الشروح، وفتنوا بها شر فتنة.

ولم ينتبهوا إلى أنها كانت سلاحًا قد استعملته من قبل أيدٍ خبيثة لتهدم به رسالة الإسلام التي جاءت به رسالة المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لأن أصل الضلال الذي طرأ على النصرانية كل الضلالات التي دخلت وأفسدت دين النصرانية هي مأخوذة من هذه العلوم الوثنية من وثنيات الهند ووثنيات قدماء المصريين وثنيات اليونان، وتعرفون الملك قسطنطين هو الذي دخل هذا الفساد في العقيدة النصرانية، كل الانحرافات تثليث والصلب والفداء كل هذه الضلالات هي مأخوذة من هذا التراث.

فكان السلاح ذا كفاءة عالية وتلوث التوحيد الذي جاء به عيسى بالثالوث الإغريقي وبمبائده الأفلاطونية المحدثة والفكر الغموسي، ومن ثم ظهرت أمراض علم الفلك والنجوم وطلتنات والكلام والباطنية والصوفية وظهر التجهم والاعتدال، وتجرأ الفلاسفة وغيرهم على تكذيب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، بتعطيلهم للكثير من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مما لم يتفق مع علوم الفلسفة، النصوص إذا عارضت نصوص الفلاسفة يهجرون هذه النصوص؟

وقد عاب كثير من نظار المسلمين الفلسفة وبينوا كثيرًا من عيها ومعارضتها لكثير من الأصول الإسلامية مما تعذر معها سلوك الطريقين، طريق الإسلام وطريق الفلسفة.

يمكن ناقشنا بالتفصيل قبل كده الفرق بين الإسلام وبين الفلسفة، إنه لا يمكن يكون في مسلم وفيلسفون، ومافيش حاجة اسمها فلسفة إسلامية، يعني الكفر الإسلامية كده بالظبط، الفلسفة الإسلامية الكفر الإسلامية، فسبق أن بينا هذا بالتفصيل في مقدمات هذه السلسلة سلسلة رجل لكل العصور.

فعاب كثير من نظار المسلمين الفلسفة وبينوا كثيرًا من ريها ومعارضتها لكثير من الأصول الإسلامية مما تعذر معها سلوك الطريقين طريق الإسلام وطريق الفلسفة، في آن واحد.

ثم وقف الكثير منهم في وجها منافحين عن الشريعة عادلين إياها عن أن تشوبها شائبة، فألفوا الكتب في الرد على منتحلها وبين إبعادها لهم عن مبادئ الإسلام ومنهجه، ولقد كان أبو حامد الغزالي واحد من جملة أولئك الذين أظهروا للناس فسادها، فبعد أن أمضى قريبًا من سنتين يدرس غور وغوائل هذا المذهب، حتى اطلع على ما فيه من خداع وتلبيس تخيير، ومن ثم قسمهم إلى ثلاثة أصناف، الفلاسفة الصنف الأول: الدهريون، ثم الطبيعيون، ثم الإلهيون.

ثم قطع بتكفير أصحاب الصنف الثالث، وهم الإلهيون، وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهم، حيث إن أحدًا من المسلمين لم ينقل علم أرسيطاطاليس كقيام هذين الرجلين ابن سينا والفارابي.

والسبب في تكفيرهم بالإلهايات قول الغزالي: بأنه قد كثرت فيها أغاليطهم، كما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق، ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى 20 أصلًا، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر، هذه الثلاثة هي:

أولًا: قولهم إن الأجساد لا تحشر، يعني البعث والنشور ده وإن الإجساد تخرج ثاني يحييها الله -سبحانه وتعالى- بعد موتها، ويعيدها من جديد لا الأجساد لا يوجد حشر للأجساد، يعني إنكار المعاد الجسماني دي من كفريات الفلاسفة، قولهم: إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هو الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية، طبعًا كفر بواح مفيش شك التكذيب واضح للقرآن الكريم وللوحي الشريف، إن ما فيش بعث للأجساد الثواب والعقاب هيقع على الأرواح ومافيش عقاب حسي أو نعيم حسي وإنما هو ايه؟ روحاني فقط، عذاب روحاني.

الضلالة الثانية: مما يكفر الفلاسفة إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وبلا شك هذا كفر صري، إن الله -سبحانه وتعالى- لا يعلم تفاصيل الأشياء يعرف الكليات بس أما التفاصيل فلا يعلمها معاذ الله.

الضلالة الثالثة: قولهم بقدم العالم وأزليته، إن العالم قديم، يعني ايه؟ أزلي لا أول له، وطبعًا ده تكذيب صريح للقرآن الكريم وللعقيدة، وده موجود يمكن للأسف الشديد الطلبة بيدرسوا في العلوم قانون المادة، وقانون المادة هو ينطق بنفس هذا الشيء، فالمفروض إنه لما تدرس قانون المادة هذا لا بد أن يصحب بنقد لقضية الخلق، وإحداث العالم المادة لا تفنى ولا تستحدث ولا تخلق من عدم، ما قولتش إلا الله الذي يخلق، لكن المادة لا تفنى ولا تستحدث ولا تخلق من العدم، يعني كفر بواح ولا مش موافقين على كده؟ فلا بد هذه الأشياء في غاية الخطورة على عقيدة الشباب.

الغزالي كان موقفه هنا حتى الآن موقفًا حسنًا حيث إنه استطاع مجابهة الفلاسفة وتفنيد آرائهم، ثم فضح تهافت الفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة"، في وقت لم يكن كثير من النظار لم يكونوا قادرين على أن يؤدوا هذه المهمة، لأن الفلاسفة كان لديهم من الحجج الباطلة والقواعد الجدلية ما يلبس ثوب الشك لدى خصومهم في القدرة على مواجهتهم بذلك، حتى جاء الغزالي وأبطل هذه الحجج بقدم ثابت وثقة بالغة وجرأة نادرة وسجل له التاريخ الإسلامي هذا الفضل العظيم.

بيد أن الغزالي، ما بنلحقش نفرح، لما بنتكلم على إيجابيات الغزالي في مثل هذه الأشياء، بيد أن الغزالي لم يكن يريد بذلك إبادة الفلسفة، واجتثاثها ن الجذور، فقد كان يميل إليها ميلًا جعله يصب في وعاء الصوفية من معينها، وده الخطر الكبير اللي حصل للغزالي، حصل له غزو فكري، وهو يدرس الفلاسفة (56:15) أيضًا أحد العلماء شبهه شبه الغزالي بواحد بيقاتل الفلاسفة، فوهو يقتالهم يجعل الجروح والأشياء دي هم بيجرحوه وهو الدم اللي بيجي من الفلاسفة يتناثر عليه ويصيبه شيء من آثارهم.

فشاء أم أبى هو تأثر بهم للأسف الشديد، طبعًا فرق شاسع مع ابن تيمية، شاسع شاسع بطريقة مذهلة، مع شيخ الإسلام مافيش حاجة اسمها يدخل في بطن الفلسفة ولا يستطيع الخروج، كما حصل من الغزالي، طبعًا الفرق الشاسع في ثقافة الرجلين رحمهما الله تعالى.

إذًا الغزالي حينما ألف تهافت الفلاسفة لم يكن يريد بذلك إبادة الفلسفة واجتثاثها من جذورها فقد كان يميل إليها ميلًا جعله يصب في وعاء الصوفية من معينها، وزي ما قلنا كتاب الإحياء مش كتاب رقائق كما في الظاهر، مش كتاب رقائق الإحياء دخل فيه فلسفة دخل فيه علم كلام دخل فيه تصوف دخل فيه ضلالات كثيرة جدًا، وهو كتاب خطير مش كتاب محدود برقائق وأذكار ونحو ذلك لا.

الكتاب فيه مشارب فلسفية وكلامية وصوفية في غاية الخطورة، فالإحياء مليء بمادة الفلسفة مشكاة الأنوار نفس الشيء، معارك القدس، ميزان العمل هذه الكتب كلها حافلة بآراء فلسفية.

ومع أن الغزالي أعلن استحالة حصول الهدى بسلوك طريق الفلسفة، اللي لا يمكن الفلسفة تكون طريق للهداية، مع ذلك ومع أنه أجاد في الرد على الفلاسفة لكنه عاد وأظهر الفلسفة في قالب التصوف والعبارات الإسلامية، ولذلك نجد وده بشهادة أخص أصحاب الغزالي، أو أخص تلامذته وهو الإمام أبو بكر بن العربي الملكي رحمه الله تعالى، لخص تأثر الغزالي بالفلسفة التي كان يذمها في عبارة شهيرة قال: شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر.

بتروى بعبارة أخرى، شيخنا أبا حامد بلع الفلاسفة ثم أراد أن يتقياهم فما استطاع، بلعهم ثم أراد أن يتقيؤهم فما استطاع أن يتقياهم بالعكس حصل امتصاص لأفكار الصوفية ودخلت في بنيانه الفكري.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول عن الغزالي: إنه قد أدخل في أول كتابه المستصفى مقدمة من المنطق اليوناني، وزعم أن من لم يكن له نصيب من علم المنطق فإنه لا يوثق من علمه.

ودي من السنن السيئة التي سنها الغزالي رحمه الله تعالى، أنه في كتاب المستصقى في أصول الفقه عمل مقدمة منطقية وقال اللي ما يدرسش هذه المقمة من علم المنطق لا يوثق بعلمه، كيف الإسلام يحتاج للمنطق، ولذلك من مظاهر التجريد التي نحتاجها في هذا العصر، تخليص علم أصول الفقه من المقدمات المنطقية ومن الأساليب المنطقية.

وهناك رجل باحث اسمه عادل زعبوب مؤلف كتاب "منهاج البحث عند الغزالي" وهو يؤيد الغزالي بلغو، ويصفه بأنه خبير بخلفيات الضمائر ومكنونات القلوب، ومع ذلك يضطر لذكر الحقيقة، حقيقة دور الغزالي في مزج المنطق بالعلوم الشرعية، يقول:

إن الغزالي –ده واحد من أشد أنصار الغزالي من المعاصرين- يقول: إن الغزالي يعتبر المازج الحقيقي للمنطق الأرسطاطاليسي بعلوم المسلمين، من خلال هذه المقدمة المنطقية التي وضعها في أول المستصفى، والتي ذكر فيها أنه من لم يحيط بها فلا ثقة بعلومه أصلًا، وقد نص ابن تيمية على أن أول من خلط المنطق الأرسطاطاليسي بالأصول المسلمين هو أبو حامد الغزالي.

أيضًا الدكتور عبد الرحمن بدوي، يقول: وقد استطاع الغزالي بهذا الرطب الوثيق، بل المزج والتفاعل، بين الفلسفة اليونانية، وبين العقائد الإسلامية متمثلة في الكتاب والسنة، أن يعطي الفلسفة حق المواطن الكامل في داخل الثقافة الإسلامية.

تعبير دقيق، ورائع معبر تمامًا عن هذا الخطأ، وقد استطاع الغزالي بهذا الربط الوثيق بل المزج والتفاعل، بين الفلسفة اليونانية وبين العقائد الإسلامية، متمثلة في الكتاب والسنة، أن يعطي الفلسفة أعطاه الجنسية، أعطى الفلسفة الجنسية أن يعطي الفلسفة حق المواطن الكامل في داخل الثقافة الإسلامية، ولا أدل عن هذا الاسم الغريب الفلسفة الإسلامية الفيلسوف الإسلامي، فلاسفة الإسلام، وليس للإسلام فلاسفة.

كذلك الدكتور بدوي وضع تقييمًا لفكر الغزالي من خلال تصانيفه التي كتبها بعدما كتب كتابه تهافت الفلاسفة، فقال: وهنا قد يتساءل المرء وما الجديد إذًا في الغزالي؟

الجواب واضح وهو أن الجديد في فكر الغزالي هو: أولًا: ربطه بين الفلسفة الإفلاطونية، وبين العقائد الإسلامية بتأويل للآيات القرآنية على نحو يقرب بين الاثنين.

ده الجديد في فكر الغزالي، ربطه بين الفلاسفة الأفلاطونية وبين العقائد الإسلامية بتأويل الآيات القرآنية عشان تقريب بقى، تقريب بين الإسلام والكفر، التقريب بين الإسلام والفلسفة، فدي من إنجازات الغزالي في نظر البعض، ربطه بين الفلسفة الأفلاطونية وبين العقائد الإسلامية، بتأويل للآيات القرآنية على نحو يقرب بين الاثنين.

ثانيًا: إبرازه يعني تطبيع العلاقات مع الفلسفة، بين الفلسفة وبين القرآن الكريم.

ثانيًا: إبرازه لهذه الآراء الإفلاطونية المحدثة في ثوب إسلامي خالص، يعبر عن مفاهيم فلسفية بألفاظ إسلامية.

ثالثًا: ما أتى به خصوصًا في مشكاة الأنوار، التي أعدها أعظم كتبه من الناحية الفلسفية، من تفصيلات وتحليلات ربطها بين الكتاب والسنة، أوثق ارتباط، واستنباط نتائج وأفكار كانت كامنة في الأفلاطونية المحدثة، واستطاع هو إبرازها وتوفيتها حقها من التحليل.

ثم يقول: وهكذا نرى الغزالي قد تأثر في هذه الموضوعات الثلاثة على الأقل للفلسفة اليونانية، تأثرًا ظاهرًا قويًا في المرحلة الأخيرة من حياته، تلك المرحلة التي بدأت سنة 488 وفيها أظهر انصرافه عن الفلسفة وكفره بالفلاسفة.

والواقع أنه رغم كل ما بذله بقي في بطون الفلاسفة، ولم يقدر أن يخرج منها كما قال أبو بكر بن العربي وما تظاهر به من طعن في الفلاسفة لم يكن يقصد به الطعن إلا في الظاهر ابتغاء التقريب بينها وبين الدين، حتى يستطيع أن يجعل الفلسفة مقبولة في رحاب الدين السني.

ده كلام عبد الرحمن بدوي في كتابه "الغزالي ومصادره اليونانية"، ثم يقول أيضًا: وما نراه من تغييره للمصطلحات إنما قصد منه أيضًا إلى هذا التقريب ولم يكن قصده أبدًا، إلى صرف أهل الدين عن الفلسفة بل العكس رمى إلى جعلها مقبولة لديهم، ومن هنا التناقض الظاهر في موقفهم.

في الحقيقة دي العبارة دي من عبد الرحمن بدوي فيها نظر، وفيها نوع من التعسف لأن الغزالي بلا شك كان له دور حقيقي في تنفير الناس من الفلسفة بعض أن استحوذت على إعجابهم.

يذكر بعد ذلك نماذج من التأثر الفلسفي عند الغزالي، إنه أولًا بيستعمل كثيرًا مصطلحات الفلسفية بالذات المصطلحات الأفلاطونية المحدثة وألفاظها، مثل: علوم المعاملة، علوم المكاشفة، الإنسان عالم أصغر، النفس الكلية، اللوح المحفوظ.

اللوح المحفوظ ده هو تعبير قرآني، لكن عند الفلاسفة له معنى ثني، اللوح المحفوظ اللي هي نفوس الملائكة، طب نفوس الملائكة طب ماشي، لا الملائكة الكواكب، فيقول بنفس التعبير اصطلاح شرعي سليم إسلامي، لكن المضمون معنى فلسفي كما سيأتي.

لهذا يذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الغزالي يطلق في الإحياء وغيره من الكتب المضنون بها على غير أهلها ألفاظ الملك، والملوك والجبروت، ومقصوده الجسم والعقل الذي أثبتت الفلاسفة، ويذكر اللوح المحفوظ ومراده به النفس الفلكية، وهو إما أخذها عن الفلاسفة كابن سينا وغيرهم ممن سمعوا كلام الأنبياء وأرادوا الجمع بينه وبين أقولهم، فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم، ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء.

زي ما يجيب مثلا واحد حاخام يهودي بكل أفكاره الداخلية وتركيبته النفسية وخصائصه، ومذاهبه وآرائه، كيهودي وتلبسه ملابس شيخ معمم، أزهري مثلا.

فالمضمون هو هو اليهودي، لكن الظاهر قدامنا إن هو في لباس إسلامي، ده اللي حصل بالنسبة للغزالي في موضوع الفلسفة، كما سيأتي التعبير المشهور في هذا، يقول: وهو إنما أخذها عن الفلاسفة كابن سينا وغيره ممن سمع كلام الأنبياء وأرادوا الجمع بينه وبين أقواله فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء.

ثم يتكلمون في أصول الكتب عن تلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء، فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم، أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء وضل بذلك طوائف، هذا كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

كذلك يعول الغزالي على تقسيمات ابن سينا للنفس الإنسانية، حيث يقسمها الغزالي إلى: النفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الإنسانية.

تعريف النباتية: هو نفس تعريف ابن سينا، هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتغذى وينمو ويولد المثل.

بالمقارنة بين ما قاله الغزالي وبين ما قاله ابن سينا وأرسطو، نجد أنه لا اختلاف بين قول الغزالي وقول ابن سينا وأرسطو، أخذ عنهم نفس هذه العبارة.

كذلك أظهر الدكتور عبد الكريم عثمان، أوجه التشابه والتماثل بين كلام الغزالي في النفس وكلام الفلاسفة، فظهر بهذه الدراسات مطابقة أراء الغزالي للفلاسفة وبينت مصادر فلسفية في كلامه لم يشر إليها الأمر الذي أعاد إحسان الظن عند العامة بهذا الكلام من غير أن يعرفوا أنه كلام فلسفي المصدر والجوهر، صوفي القالب والمظهر.

كذلك اعتماد الغزالي على عاملي الشهوة والغضب، واستعمال مصطلحات النفس أو اطباع التبعية أو البهيمية في تحليل النفس، منهج فلسفي ذو اصطلاحات فلسفية بحتة، أيضًا استعمل دائمًا مصطلح النفس الناطقة، معرفًا إياها بأنها الجوهر الحي الفعال المدرك فلذلك لا يكاد يوجد فرق بين كلام الغزالي وكلام ابن سينا فيما يتعلق بمغايرة النفس للبدن.

قضية الإدراك والإدراك الحسي أيضًا يقترب الغزالي مع الفلاسفة فهو يقول بنظرية القوة المدركة ويصنفها على النحو المشابه لتصنيف ابن سينا لها، يقول: إن تصور النفس الناطقة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها، وكيفيتها وجواهر ذاتها، يعتمد على تحديد أرسطو لإدراج بأنه قبول الصور كما يقبل الشمع طابع الختم لا من حيث معدنه بل من حيث إنه صفة معينة، ومن حيث صورتها.

أما في كتابه "مشكاة الأنور" فأيضًا بدا أثر الفلسفة واضح جدًا على الغزالي، لأن هذا الكتاب "مشكاة الأنوار" يتميز عن سائر كتب الغزالي بأنه موضوع على قواعد المتفلسفة لأن فيه كثير مما يوافق كلامهم، وقد ذكر ابن تيمية أن ابن رشد يمتدح كلام الغزالي في هذا الكتاب، وحق لابن رشد أن يمتدح مشكاة الأنوار وأن يسعد لم يرى فيه من آثار الفلسفة البادية على من يقول إنه من ألد أعدائها وأشد خصومها.

أيضًا للأسف الشديد الغزالي استخدم الآية الكريمة وهي قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} استخدمها لتقريب أن العقل على أربع مراتب كما استعمل غيرها من الآيات والأحاديث النبوية في محاولة منه للتوفيق بينها وبين نظرية الفيض الإسكندرانية.

أيضًا ذكر الغزالي في مشكاة الأنوار مراتب العارفين بالله، ثم قال: إن سائرهم محجوبون، إلا الذين اعتقدوا أن الله سبحانه غير محرك السماء الأولى، وهو الذي صدر عنه هذا المحرك، قال ابن رشد: وهذا تصريح منه باعتقاد مذهب الحكماء في العلوم الإلهية.

وفي المشكاة غرائب وعجائب من الثناء على بعض من اشتهروا بالحلول، وفيه التمثل بأقوالهم ووصف أحوالهم، وما آلت إليهم من هذه التصريحات الكفرية، كأنها نهاية الواصلين، كقول القائل منهم سبحاني ما أعظم شأني، وما في الجُبة إلا الله، وأنا الحق وهل في الدارين غيريـ، ثم قال الغزالي وكلام العشاق يطوى ولا يحكى.

يعني بيقول إن الكلام ده مش كل الناس هتفهموا فالمفروض إنه ايه؟ يطوى ولا يحكى، لأن العوام لا يتحملون مثل هذا الكلام.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية وأما التي يسميها علوم المكاشفة ويرمز إليها في الإحياء، دي طبعًا مصدر مهم جدًا عند الغزالي في تلقي العلوم، يعني من قرأ كتاب ذكر الموت وما فيه، بعد ما نتكلم على عذاب القبر بالنصوص، بعد كده بيجيب ايه؟ وأما ما دلت عليه علوم المكاشفة فقد أخبر كذا وكذا، ويجيب لك بقى أخبار عما يحدث مع الميت في القبر بناء على علوم المكاشفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما التي يسميها علوم المكاشفة، ويرمز إليها في الإحياء، ففيها يستمد من كلام المتفلسفة وغيرهم كما في مشكاة الأنوار، والمضمون به على غير أهله، وغير ذلك بسبب خلطه التصوف بالفلسفة كما خلط الأصول بالفلسفة.

أيضًا الغزالي لبس الأمور على الناس، أو جعل الأمور تختلط على الناس، حينما استعمل ألفاظ الملائكة المحركين للسماوات، لفظ فلسفي الملائكة المحركين للسماوات، لأن الملائكة عند الفلاسفة معناها الكواكب الكواكب المحركة للسماوات ولكن تستمد منها العلوم، انظر إلى قول الغزالي في المشكاة، مشكاة الأنوار يقول: إن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة، منها تفيض الأنوار على الأرواح البشرية، ولأجلها قد تسمى أربابًا، فيكون الله رب الأرباب لذلك، ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة، فبالحري أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب **... إلى آخره**.

طبعًا دي نفس نظرية المثل الأفلاطونية التي تقول: إنه ما من شيء في عالم الملك والشهادة إلا وهو مثال الأمر روحاني من عالم الملكوت.

أيضًا الغزالي جعل الآية { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } استعملها ليؤيد النظرية الفلسفية القائلة بتقسيم العقل إلى أربع مراتب، بشيء من الآيات والأحاديث بغية تقديمها بهدوء إلى أذهان الناس، الغزالي اتهم بنقل معظم نظرياته التي في الكتاب عن اتساع الرابع لأفلوطين وبالتحديد من الفصل الخامس منه، وهو في بيان النور الحق هو الله تعالى، وأن اسم النور لغيره مجاز ومحض لا حقيقة، ثم أضاف بأن من ذهب مثله لهذا الرأي من بعض الباحثين أمثال بنتنج، خلاصة الكلام أنه يقول: أن هذا يقتبس هذا الكلام من كلام أفلوطين.

يقول بنسنج: أنه لا بد أن يكون الغزالي قد قرأ ترجمة هذا الفصل الخامس من اتساع الرابع ومنه استمد كلامه في الفصل الأول من مشكاة الأنوار، ثم تعقب البدوي هذه الترجمة، وأثبت وجود مخطوطتها الكتابية، ثم قال: وهذا ثبت بالدليل القاطع، بعد ما ترجم المخطوطة بتاعت أفلوطين.

يقول: وهذا ثبت بالدليل القاطع أن الفصل الخامس من اتساع الرابع لأفلوطين قد ترجم ملخصًا إلى العربية، وشطر كبير منه مترجم حرفيًا كما في أصل أفلوطين.

يقول الباحث بنسنج: إذا نظرنا إلى الغزالي كمتكلم وجدناه مسلمًا، وإذا اعتبرناه مفكر ظهر لنا أفلاطونيًا محدثًا وإذا بحثنا عنه كصوفي ألفيناه مسيحيًا.

طبعًا كلام بنسنج له أكيد معاني يقصد كصوفي ألفيناه مسيحيًا يقصد الجانب الروحاني طبعًا ما يقصدش كل ضلالات النصارى يعني.

كذلك أما يؤخذ على الغزالي قوله: بأن العلم منقوش في النفس الفلكية، ثم سمى ذلك باللوح المحفوظ، وهو تبع لذلك لابن سينا، كذلك لفظ الملكوت والجبروت وعالم الشهادة، يتابع ابن تيمية هذه المسألة، فيقول: وقد بينا أن اللوح المحفوظ، الذي ذكره الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ليس هو النفس الفلكية وابن سينا ومن تبعه أخذوا أسماء جاء بها الشرع فوضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع، ثم صار يتكلمون بتلك الأسماء، فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع.

ثم يعبر ابن تيمية تعبير في غاية الروعة يلخص فيه هذه الجريمة، ويحث مثل هذه العبارات أن تحفظ فيقول: ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع.

وهؤلاء أخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة، تعبير معبر جدًا، ورائع في وصف هذا الجريمة وهذا العدوان على الإسلام ومفاهيم الإسلام، قال: وهؤلاء أخذوا مخ الفلسفة حقيقة الفلسفة وخلاصتها يعني أخذوا مخ الفلسفة وكسوه من الخارج لحاء الشريعة.

يقول لك: اللوح المحفوظ ده المظهر الخارجي بتاع الشريعة، ألفاظ الشريعة لكن ايه اللي يقصده باللوح المحفوظ؟ النفس الفلكية والكواكب **... إلى آخره**.

ولذلك وصف ابن تيمية الغزالي بأنه يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليه، ويفسر الأقوال النبوية بمعاني بحيث توافق المعاني الفلسفية.

أيضًا من مؤلفات الغزالي كتاب القسطاس المستقيم، أراد في هذا الكتاب استخراج أصول الأقيسة المنطقية الخمسة من القرآن جاعلًا من آياته دليلًا على صحتها، حتى يستطيع القول بعد ذلك بأنه تعلم هذه الموازين الخمسة في القرآن، ثم وزن بها جميع المعارف الإلهية فجعلها جميعًا موافقة لم في القرآن.

اضطر لأجل ذلك إلى تغيير أجزائها الفلسفية حتى لا تكون مرفوضة لدى الناس، زي ايه بقى؟ القياس الحبلي الغزالي سماه ميزان التعادل، وجعله الميزان الأكبر، سمى الشكل الثاني الميزان الأوسط، الشكل الثالث سماه الميزان الأصغر، الرابع اللي هو القياس الشرطي المتصل سماه ميزان التلازم، والخامس وهو القياس الشرطي المنفصل سماه ميزان التعامد.

وهو لم يأتي على تغيير أو تبديل شيء من مضمونها المنطقي وإنما غير الأسماء فقط، يعني المضمون المنطقي هو هو، لكن أعطاها اسم كساها لحاء الشريعة كما يقول.

والسؤال يطرح نفسه، كيف يزعم بأن علوم المنطق والفلسفة في الإلهيات كلها تخمينات وتخليلات لا يجوز الأخذ بشيء منها، مع أنه يضع أصولها ومبادئها ضمن قوالب إسلامية، وكيف يجوز له القول حينما سئل عن هذه الموازين، هذه الأسامي أنت ابتدعتها وهذه الموازين أنت انفردت باستخراجها أم سبقت إليها؟ أجاب: أما هذه الأسامي فإني ابتدعتها، وأما الموازين فأنا استخرجتها من القرآن، وما عندي أني سقت إلى استخراجها من القرآن، ولذلك استشهد بقوله تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } واستدل بقوله تعالى: { وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ }.

لكنه غالط نفسه، حينما أضاف إلى كلامه الأول قوله ولها عند مستخرجيها من المتأخرين أسماء أخر سوى ما ذكرته، وعند الأمم السابقة على بعثة موسى ومحمد -صلى الله عليهما وسلم- أسامي أخر كانوا قد تعلموها من صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، دائمًا بيحاول يربطها بالإلهيات أو بالوحي حتى يضفي عليها هذا الشيء.

هذا كله دال على أنه غير الأسماء المنطقية بأسماء أكثر اعتمادًا عند الناس بهدف تقريبها منهم، وهذا مطابق لقول ابن تيمية عن الغزالي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة بأنهم أخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة، وثمة أمر خطير وهو أن كلامهم يفيد أن ملة إبراهيم عليه السلام هي أصل الفلسفة الوثنية اليونانية حيث يقول بحجة مشهورة قال بها فيلون اليهودي والمدعو القديس أوجاستين من قبل وهي: أن الفلسفة اليونانية مأخوذة من صحب إبراهيم وموسى، تعلمها حكماء اليونان من صحف إبراهيم وموسى وأعطوه أسماء أخر.

يقول البدوي ولأول مرة نجد لدى مفكر مسلم هذا الرأي الذي كان يظن أنه لم يقل به إلا فيلون اليهودي ثم القديس أوجاستين.

طبعًا الموازين الخمسة اللي بيدعو أنها بترجع لصحف طبعًا هي راجعة للفلسفة اليونانية أو المنطق اليوناني يدعون بقى أنها مأخوذة تمسح في صحف إبراهيم وموسى، مع أن المنطق الجدلي واضح وجلي بحيث يستبعد تمامًا بأن يستعمل الأنبياء أسلوبًا معقدًا كهذا الأسلوب في دعوتهم، إلا أن الغزالي يؤكد أنها تعاليم الأنبياء.

وهذا ما حدى بالمحقق المدعو جميل صليبة أن يقر بأن هذه الموازين لا تختلف عن المنطق اليوناني إلا بالعبارة، والغزالي لا يرى أن بعض علوم الفلسفة مأخوذة بطريقة الأنبياء بحسب، بل يرى أيضًا أن كلامهم في الأخلاقيات مأخوذ من كلام الصوفية القدماء.

أيضًا فهو نقل عن الفلاسفة في الأخلاقيات نقل حاطب ليل لأنه كان يرى أن جميع كلامهم مأخوذ عن الصوفية، في حين يرى أن بعض علومهم أيضًا مأخوذة عن تعليم الأنبياء ومنها الموازين الخمسة، ولذلك لم ينجو الغزالي من محاكاة الفلاسفة وتقليدهم في الأخلاقيات، والدليل على ذلك تقسيمه للفضائل وطرق كسبها، وتنويع الرذائل ووسائل الخلاص منها، فهذا يوضح تمامًا هذه المحاكاة.

وأشار الكثيرون ممن كتب عن الغزالي بأنه كان مقلدًا لمسكويه صاحب كتاب تهذيب الأخلاق والذي كان ينقل نقلًا مباشرًا وصريحًا عن اليونان، وأنه عرف أفلاطون وأرسطو عن طريقه، وأن لمسكويه هذا الأثر الكبير في تكوين الغزالي من الوجهة العقلية، وأيضً كان مقلدًا لابن سينا، وقد ذكرنا من قبل أن الغزالي كان عكوفًا على كتابه الشفاء، الشفاء لابن سينا، مما جعل الناس يقولون أمرضه الشفاء، أمرض الغزالي كتاب الشفاء، أمرضه الشفاء يعني شفاء ابن سينا.

وكمثال على ذلك يقول الغزالي: وليس للأبيناء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال، لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس بما يفهمون.

ابن سينا يقول: إن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون، مقربة ما لا يفهمون إلا أفهامهم بالتشبيه والتمثيل ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة، نفس كلام الغزالي.

لا شك أن هذه الدعوة هي من أخطر ما بنى عليه الفلاسفة والقرامطة منهجهم في هدم الإسلام، والإعراض عن الكتاب والسنة والاستغناء عنهما بالفلسفة وتعاليم الأئمة المعصومين.

نختم بإشارة إلى أن الفصل الذي ذكره الغزالي في توبيخ النفس ومعابتها في قصد الإحياء، هذا الفصل مأخوذ عن كتاب هرمس اليونان، هرمس بعنوان معاذبة النفس، معاذبة النفس معناه توبيخ النفس، فأخذ نفس الأسلوب وأثبت الشيخ الدمشقي هنا الترجمة مما يؤيد أنه اقتبس من هرمس اليوناني حتى في هذا الكتاب كتاب توبيخ النفس، عبد الرحمن البدوي ذكر هذه المقارنة بين نص هرمس، هرمس اليوناني وبين نص الغزالي فيقول الغزالي:

بعد هذا العرض الذي يظهر مدى تقليد الغزالي ونقله عمن حكم بتكفيره، يقول: ولهذا نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان أن الغزالي لم يهجر الفلسفة إلا ليتحول إلى فلسفة أخرى، لقد هجر فلسفة أرسطو وأتباعه اليونانيين والمسلمين ليتحول إلى فلسفة أفلوطين والأفلاطونية المحدثة بعامة وظل لهذه الأخيرة مخلصًا حتى آخر عمره.

أما سبب نقده للفلاسفة مع حرصه على الأخذ من معينها فيقول الدكتور عبد الكريم عثمان في ذلك: وإننا لنتساءل لمناسبة حديثنا عن براهين الغزالي على روحانية النفس، لماذا يمتقت الغزالي آراء الفلاسفة وبراهينهم حول هذا الموضوع أو غيره، بينما هو يقول بهذه الآراء والبراهين في كتب أخرى؟

يجيب على هذا بقوله: إننا ننظر إلى نقد الغزالي في التهافت خاصة على أنه أقاويل جدلية، أراد فيها أن يظهر قوته أمام الفلاسفة لا سيما وأنه كان مغرمًا في أول حياته بعرض حججه والتباهي بها، وأيضًا الغزالي في مقارنة مع ابن سينا أيضًا، أنه أخذ من ابن سينا تقسيم الناس إلى ثلاث طبقات، الغزالي بيقول ايه في القسطاس المستقيم إن الناس ثلاث طبقات:

الأولى: عوام، وهم أهل السلامة البُله، وهم أهل الجنة.

الطبقة الثانية: خواص وهم أهل الذكاء والبصيرة.

الطبقة الثالثة: يتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب، فيتبعون ما تشابه من الكتاب، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وده نفس ابن سينا لتقسيم طبقات الناس الثلاثة.

لا مانع عند الغزالي أن يضفي على هذا التقسيم الأفلاطوني صبغة إسلامية، لبس هذا التقسيم لحاء الشريعة، فيجعل قول الله -سبحانه وتعالى- دليلًا على هذا التقسيم، وهو قوله: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } فيجعل الآية دليلًا على تقسيم أفلوطين.

فالخواص هم المدعوين بالحكمة، { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ } يبقى ده لمين بقى الحكمة؟ الخواص اللي هم أهل الذكاء والبصيرة.

{وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } العوام هم المدعوين بالموعظة الحسنة، وبالمجادلة { بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } طائفة الشغب المجادلة، فجعل الآية دليلًا على كلام أفلوطين.

فقال: فإن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمئزوا منها، كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الآدمي.

وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر، أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر.

يذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي، أن الغزالي اعتمد في تأليفه لكتاب تهافت الفلاسفة على كتاب لفيلسوف يوناني أفلاطوني المحدث هو درقس الأفلاطوني ورد يحيى النحوي عليه واسم الكتاب حجج درقس في قدم العالم، ولئن كان الغزالي لم يذكر اسم برقلس ولا اسم يحيى النحوي في كتابته تهافت الفلاسفة فإن هذا لا يدل على شيء لأن الغزالي لا يذكر مصادره وهو خصوصًا هنا يعنيه أن يخفي مصدره لأن يحيى النحوي ايه؟ فيلسوف، على أنه يكفي المرء أني قارن كتاب يحيى النحوي في رده على برقلس في قوله: لقدم العالم ليكتشف في الحال بأن الغزالي ينقل خلاصة ما قاله يحيى النحوي، في رده ولا يكاد يضيف شيئًا جوهريًا إليه إنما الخلاف في العبارات والاصطلاحات وطريقة صياغة الحجاج.

يعني الحقيقة ده الجزء الذي تيسر الآن عرضه فيما يتعلق بصلة الغزالي، أولًا رحلته مع علم الكلام، ثم رحلته مع الفلسفة والمواقف المتناقضة، وكيف أنه لم ينجو لا من علم الكلام ولا من علم الفلسفة، أنا أتوقع أنه أصابكم الدوار لأن السفينة التي كنا نستقلها تتخبطه الأمواج تارة يمنى وتارة يسرى ما بين مدح يعقبه ذم ما بين تحذير مثلا من الكلام والفلسفة ثم الوقوع في براثنها، فأعتذر إذا كان الكلام دوخكم يعني.

وإن شاء الله نكمل الرحلة فيما بعد لاستيضاح المزيد من هذه المحاكمة لمنهجين في شخصين، وهما شيخ الإسلام ابن تيمية رجل في كل العصور والإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

جزى الله الشيخ خير الجزاء، ونفعنا وإياكم بما سمعنا من العلم ونسأل الله جل وعلا أن يرفع مكانة الشيخ في المهديين، وأن يجعله علمًا من أعلام الهدى والدين ولا تنسوننا وتنسوا الشيخ من دعوة صادقة بظهر الغيب، وتقبلوا تحيات إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح بالأسكندرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.